## الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيَّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذهِ هي الأعمالُ الحسنَةُ والنافِعة* أمَّا المباحثاتُ الهَذَيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّة فاجتَنِبْها. فإنَّها غيرُ نافِعةٍ وباطِلةٌ* ورجلُ البِدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنهُ* عالِماً أنَّ مَن هو كذلكَ قد اعتَسَفَ وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسهِ على نفسه* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولسَ لأنّي قد عَزَمْتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأبُلُّوسُ فاجتَهِدْ في تشييعهما متأهِّبَين لئلاَّ يُعوِزهما شيءٌ* وليتعلَّمْ ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ

## هوشع «نبي المحبة»

«قال الرب لهوشع: إذهبْ خُذْ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى، لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب» (هو ١: ٢). هذه الدعوة التي وجهّها الرب للنبي هوشع (نعيّد له في ١٧ تشرين الثاني)، لا نستطيع أن نفهمها إلا على ضوء علاقة الرب بنا. لقد سبق الرب فأعطى وصاياه للناس وفيها ينهى عن الزنى: «لا تزنِ» (خر ٢٠: ١٤)، لكننا نراه هنا يطلب من نبيّه الاقتران بزانية لأنه يريد من خلال هذا الارتباط أن ينقل رسالة لكل الشعب مفادها أن الرب المحب البشر سيرتبط بشعب خاطئ ليخلّصه.

إن كلمة «زانية» في العهد القديم لم تكن تشير فقط الى الزنى الجسدي، فالمرأة التي كانت تكرّس نفسها لعبادة البعل والأصنام كانت تُدعى زانية لأن هذه العبادة غالباً ما كانت تترافق مع زنى. من هنا جاءت نبوءة هوشع التي يوبّخ فيها إسرائيل على خيانته للرب واتّباعه آلهة أخرى: «أنا أعرف أفرايم وإسرائيل ليس مخفياً عني، إنّك الآن زنيتَ يا أفرايم، قد تنجّس إسرائيل، أفعالهم لا تدعهم يرجعون الى إلههم لأن روح الزنى في باطنهم وهم لا يعرفون الرب» (هو ٥: ٣–٤)، «لا تفرح يا إسرائيل طرباً كالشعوب، لأنك قد زنيتَ عن إلهك» (هو ٩: ١). هذه الخيانة للرب اختبرها كلّ سكان الأرض (هو ١: ٢)، فالمرأة التي سيتزوجها هوشع تمثّل الشعب الذي ترك عبادة الله وضلّ عن معرفته، متّبعاً عبادة الأوثان.

**العدد ٢٠١٥/٤١**

**الأحد ١١ تشرين الأول**

**أحد آباء المجمع المسكوني السابع**

**تذكار الشماس فيليبس والبار**

**ثاوفانس الموسوم**

**اللحن الثاني**

**إنجيل السَحَر الثامن**

بناءً على أمر الله ، ارتبط هوشع بامرأة زانية هي جومر بنت دبلايم. معنى اسمها «جومر» في العبرانية هو الكمال، والمقصود به اكتمال الخطيئة والفشل، أما اسم أبيها «دبلايم» فمعناه الذي يخبز أو الذي يصنع كعكة فيها تمر أو زبيب، وهي الكعكة التي تُستخدم في عبادة البعل: «وقال الرب لي: اذهب أيضاً أحبب امرأةً حبيبةَ صاحبٍ وزانية، كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون الى آلهة أخرى ومحبّون لأقراص الزبيب» (هو ٣: ١). هكذا أصبحت جومر بنت دبلايم رمزاً لكمال بُعد الشعب عن الله واتباعه لآلهة أخرى، فبعد أن خلّصها هوشع من عبادة البعل واتّخذها لنفسه زوجة، عادت الى طرقها السابقة: «لأنها قالت: أذهب وراء محبّيَّ الذين يعطون خبزي ومائي،

صوفي وكتّاني، زيتي وأشربتي»، لكن الله لا يترك شعبه الذي أحبه: «لذلك هأنذا أسيّج طريقك بالشوك، وأبني حائطها حتى لا تجد مسالكها، فتتبع محبّيها ولا تدركهم، وتفتش عليهم ولا تجدهم، فتقول: أذهب وأرجع الى رَجُلي الأول، لأنه حينئذ كان خير لي من الآن» (هو ٢: ٥–٧). هذه صورة عن الأسلوب الذي يستخدمه الله ليسهّل لنا طريق العودة إليه حتى لا نبقى في غربة عنه وعن معرفته.

المرأة الزانية تلد أولاد زنى، والمقصود هنا أن نتائج اتّباعنا لآلهة أخرى هي سيئة. لقد ولدت جومر لرجلها هوشع ثلاثة أولاد: يزرعيل ولورحامة ولوعمّي. «يزرعيل» تعني «الله يزرع»، وهو يشير إلى أن ما يزرعه الله فينا من تأديبات إنما هو ثمر عملنا. يزرعيل يذكرنا بما فعله ياهو مع يورام بن آخاب وإيزابيل الشريرة التي قتلت وورثت حقل نابوت اليزرعيلي، فلحست الكلاب دمها في نفس الحقل الذي اغتصبته (٢ مل ٩: ١٠). «لورحامة» تعني «لا أرحم»، يقول الرب: «لأني لا أعود أرحم بيت إسرائيل أيضًا بل أنزعهم نزعًا، وأما بيت يهوذا فأرحمهم وأخلّصهم بالرب إلههم، ولا أخلّصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرسان» (هو ١: ٦–٧). لقد انغمس إسرائيل بالشرّ تاركاً الله مخلّصه، وهو بذلك لم يرحم نفسه فلا يتوقّعنّ رحمة الله، أما يهوذا فيشير إلى كنيسة العهد الجديد التي هي جسد المسيح الخارج من سبط يهوذا وخلاصها هو بالرب إلهها. «لوعمّي» تعني «ليس شعبي»، فالخطيئة ينتج عنها عدم الرحمة، وبها يتغرّب الإنسان عن الله فلا يعود منتسباً إليه بل الى الآلهة التي يعبدها.

أولاد هوشع هم أولاد زنى كما أشرنا أعلاه، هذا لا يعني أنهم ثمرة زنى ولكن لمجرد ميلادهم من أم زانية كانت مرتبطة بالبعل أو الوثنية حُسبوا أولاد زنى، مع أنهم أبناء النبي أيضاً، لكنهم يبقون أولاد زنى الى أن يقبلوا رسالة أبيهم ويرفضوا روح أمهم القديم. فالرب سريع المصالحة إن نحن تجاوبنا مع عمله، وهو قادر أن يجعل التأديبات بركات وأن يرحم المفتقد الى الرحمة وأن يجعل من تغرّب عنه من أبناء شعبه الخاص: «ويكون في ذلك اليوم أني أستجيب، يقول الرب، أستجيب السموات وهي تستجيب الأرض، والأرض تستجيب القمح والمسطار والزيت، وهي تستجيب يزرعيل، وأزرعها لنفسي في الأرض وأرحم لورحامة وأقول للوعمّي: أنت شعبي، وهو يقول: أنت إلهي» (هو ٢: ٢١–٢٣).

لقد أحبنا الله مثلما أحب هوشع جومر وبقي على حبها على الرغم من خيانتها الى أن أعادها إليه. ربنا يعاملنا كأب رحيم يطلب مصلحتنا: «إني أريد رحمة لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من المحرقات» (هو ٦ : ٦). هذا ما علّمنا إياه ابن الله نفسه: «فاذهبوا وتعلّموا ما هو: إني أريد رحمة لا ذبيحة لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطأة الى التوبة» (مت ٩: ١٣). لقد أحبّنا الله لدرجة أنه بذل ابنه الوحيد ليمنحنا الخلاص فما علينا سوى أن نرجع إليه كما أوصانا النبي هوشع منبئاً عن القيامة في اليوم الثالث: «هلمَّ نرجع الى الرب لأنه هو افترس فيشفينا، ضرب فيجبرنا، يحيينا بعد يومين، في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه» (هو ٦: ١–٢).

الصالحةِ للحاجاتِ الضروريَّة حتى لا يكونوا غيرَ مثمِرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلِّمْ على الذين يُحبُّوننا في الإيمان. النِّعمةُ معكم أجمعين. آمين.

## الإنجيل

(متى ٥: ١٤–١٩)

قال الربُّ لتلاميذهِ أنتم نورُ العالم. لا يمكنُ أن تَخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبلٍ* ولا يُوقَد سِراجٌ ويُوضعُ تحتَ المكيال لكنْ على المنارة ليُضيءَ لجميع الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّام الناس ليَروا أعمالَكم الصالحةَ ويُمجّدوا أباكم الذي في السموات. لا تظُنُّوا أنّي أتيتُ لأُحلَّ الناموسَ والأنبياء، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمِّم* الحقَّ أقول لكم إنَّه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نُقْطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يحُلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغارِ ويُعلّمُ الناسَ هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ

ويُعلّمُ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

## تأمل

«حتى يهتم الذين آمنوا بالله في القيام بالأعمال الحسنة».

أتوسل إلى الذين أُهِّلوا للمعمودية حديثاً والذين نالوا هذه الموهبة سابقاً، طالباً من هؤلاء أن يُزيلوا بالإعتراف والدموع والتوبة الصادقة الأقذار التي علِقت بهم، ومن أولئك أن يصونوا نضارة تألّقهم ويسهروا على بهاء نفسهم، لئلّا تلتصق بهم أيّةُ لطخة بوسعها أن تُلوّثهم. أولًا ترون الذين يرتدون ثوباً فاخراً كيف يُعيرون شديدَ انتباههم، وهم يسيرون في الساحة العموميّة، لئلاّ يقعَ بعضُ الوحل على ثوبهم فيُفسد بهاءه، مع أنّ النفس تظلّ والحال هذه بمنأى عن أيّ أذىً، والثوبُ إنّما سينخره الدود ويُتلفه الزمن. وهو، ولئن تلوّث، يسهل تنظيفه بالماء. أمّا النفس، فإذا حدث أن لحقت بها قذارةٌ ما، إمّا باللسان وإمّا بالأفكار التي تنشأ في القلب، فالمَضرّة لها كبيرة والحِملُ عليها ثقيل والنتانةُ فيها لا تُطاق.

فلذلك، إذ أخشى أنا

## القديس إسحق السرياني

في النصف الأوّل من القرن السادس عرف الشرق أباً مجاهداً أعطى الكنيسة كتاباتٍ وتعاليم وخبراتٍ روحيّة كثيرة هو القدّيس إسحق السرياني. بعدما عاش حياةً نسكيّةً واختبر جهاداتٍ روحيّة صعبة، قَبِلَ هذا القدّيس أن يشرطن كاهناً ثمّ أسقفاً على مدينة نينوى. تعلّقه بالحياة النسكيّة كان قد دفعه إلى رفض طلب أخيه أن ينضمّ إلى أخويّة الدير الذي كان يرأسه الأخ مفضّلاً حياة العزلة. إلاّ أنّه ما تمكّن من رفض نعمة الكهنوت. لكنّ حياته لم تدم بين الناس إذ انكفأ عن خدمته الأسقفيّة عائداً إلى حياة العزلة والصلاة في البريّة. للوهلة الأولى يبدو هذا الخيار غريباً إلاّ أنّ بعض القدّيسين كان لهم الموقف نفسه أيضاً بدافع المحبّة، محبّة موجّهة إلى النفوس المسيحيّة في العالم لا إلى العالم المادّي. بعض الآباء الذين يبلغون حالةً روحيّة متقدّمة يبلغون إلى الشعور بالحاجة إلى مغادرة حياة العالم لعيش حياةٍ نسكيّة. دافعهم هو التفرّغ للصلاة والتضرّع من أجل النفوس المعذّبة وتلك التي تسقط في التجارب ومغريات العالم. أحسّ القدّيس إسحق كما يرد في سيرته أنّ العالم الذي يخدمه بعيدٌ عن حياة الإنجيل وتعاليمه، فشعر بأنّه يفيدهم أكثر إن انكفأ عن الأسقفيّة وترك هذه المهمّة لآخرين ليعود إلى الحياة التأمليّة فيخدم هذه الرعيّة عن بعدٍ من خلال رفع الصلاة والدعاء من أجلهم. هذه الغربة التي انطلق نحوها القدّيس بعيداً عن العالم تذكّرنا بشعور عدم الإستحقاق الذي يراود المتقدّمين روحيّاً. فإلى جانب اعتبار القدّيسين أنفسهم بحاجة إلى التوبة حتّى آخر نسمةٍ من حياتهم، يعتبرون أنفسهم غير مستحقّين للنِعَم التي يغدقها الله به على محبّيه بسبب التواضع الذي يحملونه في قلوبهم. هذا الشعور غلب فكر القدّيس حين طُلب منه أن يدوّن الخبرات والتعاليم لمنفعة الآخرين. اعتبر نفسه غير كفءٍ لذلك على غرار القدّيس يوحنا السلّمي حينما طُلب منه أن يدوّن ما وصلنا في كتابه «سلّم الفضائل». هكذا ترك لنا القدّيس إسحق كتابه «نسكيّات» وقد قال: «لقد صرت جاهلاً أيّها الإخوة لأنّي لم أستطع حفظ السرّ مكتوماً، بل تصرّفت كَمَنْ لا عقل له حبّاً في إفادة الإخوة. لأنّ المحبّة الحقيقيّة هي المحبّة التي يستحيل عليها إبقاء أيّ شيء مكتوماً من دون أن تكشفه لمحبّيها».

غالباً ما نتعاطى مع كتاباتٍ روحيّة كالتي تركها لنا القدّيس إسحق بنوعٍ من التطرّف. التطرّف الأوّل يؤدّي بنا إلى التعلّق بهذه التعاليم بحرفيّةٍ قد تسبّب للإنسان التشتّت في ظلّ المجتمع الذي يعيش فيه. التطرّف الثاني يدفع الإنسان إلى التقاعس واعتبار هذه المواضيع لا تخصّه إنّما هي مخصّصة للرهبان فقط. على الإنسان أن يكون واقعيّاً فكلّ تطرّفٍ خطأ وكلّ تعليم وقانون أوجد لكيما يصحّح المسار ويضبطه إن في الحياة الشخصيّة أو الإجتماعيّة. إن تَرَك الناسك عزلته وجاء المدينة سيشعر بالغربة، وإن قام إنسانٌ بعيدٌ كلّ البعد عن الله بزيارة ناسكٍ في البريّة لاعتبره مجنوناً. تشدّنا التعاليم الروحيّة إلى ناحيةٍ محدّدة، إلى القربى من الله. تُدخل هذه التعاليم نفحةً روحيّة في صخب هذا العالم الذي نعيشه

فتكون كالخميرة التي تخمّر العجين وكالمادة التي تحفظ الأطعمة من الفساد. لن يتمكّن إنسانٌ يحيا في العالم من تطبيق هذه التعاليم بحرفيّتها لأنّه حينها سيفشل في الحياة الإجتماعيّة والعمليّة. طبعاً إنّها لتعاليم تطبّق في الأديار وفي العزلة حيث الأجواء متاحةٌ وحيث تقلّ الهموم المعاشيّة أو تكاد تنقطع. لكنّ روحيّتها والتعلّق بها يطعّمان حياتنا بنكهةٍ روحيّة.

القدّيس إسحق يحذّرنا من التباهي وهذا أمرٌ ينطبق على من سيحاول تطبيق هذه التعاليم في العالم فيقول: «من يتباهى بعمل الفضيلة يسمح بسقوطه في الفسق». يدلّنا هذا على أنّ أي جهادٍ روحيّ يجب ألاّ يتظاهر به الإنسان علانيةً بل يحتفظ به لذاته والله يعلم ما في القلوب.

مسيرة الإنسان في العالم مسيرة ذات جناحين الأول روحي والثاني عالمي. يجاهد الإنسان ويثابر في سبيل النجاح وعليه بحسب تعاليم الآباء أن يبلغ كلّ مرتبةٍ إجتماعيّة بالفضيلة بعيداً عن أيّ تكبّر أو مجدٍ باطل. هذه الفضائل التي تضبط حياة الإنسان هي الجناح الروحي الذي يقوّم مسيرة الإنسان فيتمكّن بالنعمة أن يميّز الأمور. يجيب القدّيس إسحق عن سؤال عمّن يُدعى فهيماً باستحقاق قائلًا: «هو الذي يدرك حقّاً أن للحياة نهاية ويستطيع أن يضع حدّاً لخطاياه». وحدها التعاليم الروحيّة وكتابات الآباء ترشدنا إلى السلوك بحسب تعاليم الإنجيل وترشدنا إلى طريق الخلاص. لأنّه «كما تعطى الأدوية للجسم السقيم، كذلك تعطى الوصايا للنفس الخاطئة». حِفْظُ هذه الوصايا يبلغ بالخاطئ والصالح معاً إلى الحياة الأبديّة.

## المرأة العديمة التوبة

كانت امرأة تعيش بالأصوام والصلوات مظهرةً للعلن أنّها تقيّة، لكنّها كانت متكبّرة جداً معتقدةً أنّها قدّيسة، كما أنّها كانت حقودةً متى تخاصمت مع امرأةٍ أخرى لم تكن تكتفي بعدم مسامحتها، بل كانت تتجنّب وقوع نظرها عليها.

في أحد الأيام، مرضت فأرسلت في طلب الأب الروحي، لكنّها لم تعترف بخطاياها بنقاوة (فكان هناك مسيحيّون لا يكشفون للأب الروحي عن خطاياهم الكبيرة، بل يقتصرون في اعترافهم على كشف الخطايا الصغيرة)، فأحضر الكاهن المقدّسات ليناولها، فأشاحت بوجهها باتّجاه الحائط إذ لم تستطع النّظر إلى الجوهرة الإلهيّة، وفي اللحظة ذاتها اعترفت بصوت عظيم قائلةً: «كما أنني لم أغفر لسائر الذين أخطأوا إلي بسبب كبريائي بل كنت أعرض عنهم، كذلك يُعرِض الربُّ بوجهه عني ولا يريد أن يدخل إلى نفسي غير المستحقّة. إنّني لن أدخل الملكوت السماوي لكنّني سأحترق في الجحيم الأبدي».

ولمّا تفوّهت بهذه الكلمات لفظَت روحها.

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**

أيضاً حِيَل العدوّ، أواصل إرشادكم لتصونوا ثوب زفافكم في كمال نصاعته، فتَلجوا به على الدوام هذا العُرس الروحيّ، لأنّ ما يتمّ هنا إنّما هو في الحقيقة عرسٌ روحيّ. فكما أنّ أفراح الأعراس البشريّة تدوم سبعة أيام، كذلك نحن أيضاً نحتفل بهذا العرس الروحيّ ونُعِدّ فيه لكم المائدة السرّيّة المليئة بالخيرات التي لا تُحصى. ماذا أقول؟ أسبعة أيام فقط؟ لا بل مدى الزمن كلّه ستستمرّ لكم هذه الأفراح، إذا ما آثرتم القناعة والتيقّظ وحافظتم على ثوب زفافكم سالماً زاهياً.

هكذا يزداد العريس حبًّا لكم، وأنتم مع مرور الزمن تظهرون أكثر ضياء وبهجة، لأنّ النعمة تنمو بممارسة الأعمال الصالحة. حبّذا لو نحافظ جميعاً على الموهبة الممنوحة لنا، فنؤهَّل للمحبّة العلوية، بنعمة ربّنا يسوع المسيح ومحبّته للبشر، الذي له مع الآب والروح القدس المجدُ والقدرة والإجلال الآن ودائماً وإلى دهر الدهور، آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم